

تاريخ الإرسال (2018-10-03)، تاريخ قبول النشر (2019-02-04)

*1. أ. عصري عبدالنبي الحراحشة

اسم الباحث الأول:

اللغة العربية - الآداب - اليرموك - الأردن

¹ اسم الجامعة والبلد (للأول)

* البريد الإلكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: asriharahsha@yahoo.com

التثليث في القراءات القرآنية دراسة صوتية

المخلص:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد: وقمت في هذا البحث بعرض لبعض الكلمات القرآنية التي قرئ كل منها بثلاثة أوجه صوتية، ونسبت كل قراءة لصاحبها من القراء، ثم بينت وجه كل من هذه القراءات بإيجاز، من حيث المستوى الصوتي بحيث يتضح المعنى، ولم اقتصر على تناول ثلاث وجوه من القراءات في الكلمة الواحدة بل تناولت -أيضا- ثلاث قراءات في كلمتين، وأشير أنني في هذا البحث لم اقتصر على نوع معين من القراءات كالسبعة أو العشر أو الأربعة عشر. وقدمت لذلك بمقدمة تحدثت فيها عن نبذة حول علم القراءات والتأليف في المثلثات في اللغة وفي القراءات. وتأتي أهمية البحث في إبراز العلاقات الدلالية بين القراءات المختلفة للكلمة الواحدة. وقد اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على الموضوعات الآتية: الهمز والتسهيل والإمالة، والإبدال. مقتصرًا على هذه الأصول لأن الهدف من هذا البحث هو دراسة أثر القراءات المثلثة في المعنى فاقتصرت على هذه الأصول أنموذجًا. ثم بعد ذلك ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج في هذا البحث. أما أهم المصادر التي اعتمدت عليها في دراسة هذا الموضوع فقد تنوعت وتعددت وكان من بينها كتب القراءات عامة، وكتب التفسير، وكتب إعراب القرآن ومعانيه وكتب اللغة والنحو وغيرها من المصادر الأخرى.

كلمات مفتاحية: التثليث، القراءات القرآنية، دراسة صوتية.

Triangulation of the Qurauc Recitations Voice study

Abstract

the of emos ingtsenrep by rcheaser hist done I have Quranic words that are read by three verses and I have attributed each reading to the owner of them form the ten readers and their narrators and then I have showed the face and the use of each of these recdings in briefly In terms of audio "vocal" level so that the meaning is Clear and when a match Comes to the wored in which there readings or remember these matches so that the direction of the readings is similar for one time in order to avoid repetition and lengthening I was not Limited to three readings in one word but also three readings in two words and I have presented with an introduction to which I spoke about asummary of the science of readings and composition in triangles in Language and in readings The importance of research comes in highlighting the semantic relations between different readings of the word.

Keywords: Triangulation, Qur'anic Recitations, Voice study.

المقدمة:

إن العلوم إنما تتال شرفها من شرف ما تتعلق به، ولا شك أن القرآن الكريم هو أشرف الكتب، ومن هنا فإن علوم العربية من أشرف العلوم؛ لأنها ما وضعت ولا ألف فيها العلماء إلا لفهم كتاب الله تعالى.

وعلى الرغم من كثرة من كتب في علم القراءات القرآنية في مجال الدراسات اللغوية إلا أن البحث فيها لم ينفذ؛ لأنها علم من علوم القرآن الكريم، وعلوم القرآن الكريم لا تنفذ إلى يوم الدين، وبعد أن تتبعت الآيات القرآنية وجدت أن هناك ألفاظاً قرئت بثلاثة أوجه - عند القراء - في القرآن، ولم يخص أحد ألفاظ القرآن التي قرئت بالتثليث بالدراسة، وبعد عرضها على مصادرها تبين لي أن فيها مادة علمية تصلح أن تكون بحثاً قيماً؛ لذلك عقدت النية بعد التوكل على الله أن أتناولها بالدراسة فجاء البحث بعنوان: (التثليث في القراءات دراسة صوتية). وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي.

وإن علم القراءات القرآنية وما يتصل به من جوانب لغوية يعد من الركائز الأساسية في علوم اللغة المختلفة، إذ إن القرآن الكريم معجزة خاتم الأنبياء والمرسلين جاء تحدياً لفصاحة العرب وبيانهم، فأذهل فحول الشعراء والأدباء، وظل إلى يومنا مصدر البيان الأول ومرجع الدارسين لعلوم اللغة العربية.

ومن المعلوم أن الهدف الرئيس من تعدد القراءات واختلافها هو التيسير ورفع الحرج عن الأمة في قراءة كتاب ربها عز وجل، ولكن إلى جانب هذا الهدف احتوت ظاهرة التنوع في القراءات جوانب أخرى أعطت للنص القرآني تميزه وسموه على الكتب السماوية الأخرى وعلى النصوص البشرية النثرية والشعرية على حد سواء، مما استحق أن يتصف هذا القرآن بالإعجاز

وبعض الاختلاف في القراءات القرآنية - صوتياً - قد يؤدي إلى تغير لمعنى جديد مختلف عن المعنى الذي يكون في القراءة الأخرى. كما أن بعض الاختلاف في القراءات القرآنية لا يؤدي إلى تغير في المعنى، إنما هو اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضاد وتناقض وبذلك تتسع المعاني وتتعدد بتعدد القراءات. وفي ذلك يقول ابن عاشور (ت 1393هـ): "على أنه لا مانع من أن يكون مجيء ألفاظ القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مراداً لله تعالى، ليقراً القراء بوجوه فتكثر من ذلك المعاني، فيكون وجود الوجهين فأكثر في مختلف القراءات مجزئاً عن آيتين فاكتر، وهذا نظير التضمين في استعمال العرب، ونظير التورية والتوجيه في البديع...".⁽¹⁾ وبهذا يكون من مقاصد الاختلاف في القراءات القرآنية تكثير المعاني واتساعها، ولكن من غير تناقض أو تباين في المعاني وسوف ندلل على هذا الأمر بما سنعرضه من بعض القراءات في متن هذا البحث.

نبذة عن علم القراءات:

يعد علم القراءات من العلوم التي انبرى لها الكثير من الدارسين قدماء ومحدثين وخاضوا فيه الدرس تلو الدرس فاختلفوا في تلك القراءات فأولوا وقدروا فتعددت القراءات وكثر القراء.

وقد نشأ علم القراءات كغيره من العلوم الإسلامية التي ظهرت لخدمة القرآن الكريم وصونه من التبديل والتحريف وقد تدرج في أطواره المختلفة على أيد جهابذة من العلماء حتى قوي عوده وأصبح علماً متكامل البناء قوي الأساس ولقد اشتهر بين كثير من المؤرخين أن أول من صنف في علم القراءات هو الإمام أبو عبيدة القاسم بن سلام المتوفى سنة (224هـ)، كما جاء في كتاب النشر في القراءات العشر⁽²⁾.

(1) ابن مالك، جمال الدين محمد بن مالك. الاعتماد في نظائر الظاء والضاد، ص 39.

(2) ينظر: ابن الجزري. النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 33.

وقد توالى التأليف في علم القراءات بعد ذلك فألف فيها مقاتل بن سليمان البلخي المتوفي سنة (150 هـ)، كتاب "القراءات"، ثم ألف أبو عمرو بن العلاء إمام البصرة وأحد الأئمة السبعة الذين أجمعت الأمة على تلقي القراءات عنهم بالقبول، ويعد أبو عمرو (ت: 154هـ) من أعلم أهل عصره بالقرآن والعربية وقد ألف كتابا في القراءات إلى جانب كتبه الكثيرة⁽¹⁾.

ثم اتسع مجال التأليف في علم القراءات في بداية سنة (300هـ)، بعد جهود ابن سلام، فألف القاضي إسماعيل بن اسحاق المالكي (ت: 282)، كتابا في القراءات دَوّن فيه قراءة عشرين إماما. ثم جاء بعده الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: 310)، وألف كتابا أسماه (الجامع) دَوّن فيه قراءة عشرين ونيفا إماما، ثم جاء أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني (ت: 324)، والذي ألف كتابا في القراءات يتضمن قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة⁽²⁾.

نبذة عن التأليف في التثنيث

المُتَثَّنَاتُ اللُّغَوِيَّةُ مظهر من مظاهر الدرس اللُّغَوِي عند العرب، وهي فن يجنح إليه كل من أراد أن يتخذ إلى الأدب سبيلا. قال ابن مالك في إكماله "فإن تثنيث الكلم فن تميل نفوس الأذكياء إليه ويعذر من قوي حرصه عليه، فإن فوائده في سبل الأدب كثيرة وإصابة النفع به غير عسيرة فمن فوائده انقياد المتجانسات لطالبيها وامتنياز الملتبسات بكشف معانيها"⁽³⁾.

التثنيث لغة: يقول ابن منظور: "ثلاث: الثلاثة: من العدد في عدد المذكر، معروف، والمؤنث ثلاث. وثلاث الاثنيث يثلاثهما ثلثا: صار لهما ثالث ويقال: هذا ثالث اثنين، وثالث اثنين بمعنى ثلث اثنين أي صيرهما ثلاثة بنفسه. ثلثُ القوم أثلاثهم إذا كنت ثالثهم"⁽⁴⁾.

وقد عرف العلماء السابقون التأليف في المُتَثَّنَاتِ اللُّغَوِيَّةِ، وكان محمد بن المستنير المعروف بـ(قطرب) (ت: 206) أقدم المؤلفين في هذا الفن وأسبقهم إليه حيث ألف رسالة صغيرة جمع فيها اثنتين وثلاثين كلمة من الكلمات التي تُقرأ بثلاثة أوجه، واقتصر فيه على ما ثلث أوله، ولم يذكر في كتابه مثلث عين إلا فعلا واحدا وهو (عمر) واقتصر -أيضا- على المختلف معني دون المتفق، وهي رسالة صغيرة الحجم، كثيرة العلم، وقد عني به من جاء بعده من أهل اللغة، وتتابع العلماء الأفاضل على الإضافة إلى ما سبقهم إليه قطرب في هذا الفن وهو الألفاظ المثلثة بشكل عام - فكان له فضل سبق، ولهم شرف الإتمام⁽⁵⁾.

وجاء الفيروزآبادي (817) فألف كتابه المسمى: (العُرر المثلثة والدُرر المُبثَّة)، وهو كتاب حافل، ذكر فيه أنه جمع جميع ما في كتب (المثلث): كقطرب والقزاز (ت: 412هـ) والبطليوسي (ت: 521هـ) وابن مالك (ت: 672هـ) وأبي عبد الله الحنبلي (ت: 1089هـ) وبرهان الدين إبراهيم بن الأزهر البصري (ت: 1079) وذكر الفيروزآبادي أنه قد وضعه على قسمين:

الأول: في المُثَلَّثِ المتفق المعاني، والثاني: في المختلف المعاني. فجاء القسمان في خمسة مجلدات، ثم أفرد القسم الأول في هذا التأليف على ترتيب الحروف، وإذا أدى تغيير الحركة إلى الاختلاف في معنى الكلمة المثلثة كالعمر بمعنى الكثير، والعمر بمعنى الحقد، والعمر بمعنى الجاهل، فإن هذه الكلمة تعد من المُثَلَّثِ المُخْتَلَفِ المعاني، وإن لم يؤدِّ تغيير الحركة إلى الاختلاف في

⁽¹⁾ ينظر: ابن مجاهد. السبعة في القراءات، ص 45.

⁽²⁾ ينظر: ابن الجزري. النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 34.

⁽³⁾ ابن مالك. محمد بن عبد الله. إكمال الإعلام في مثلث الكلام، ج 1، ص 5.

⁽⁴⁾ ابن منظور. لسان العرب، ج 2، ص 118.

⁽⁵⁾ ينظر: (بحث) مجلة جامعة أم القرى، ص 53.

المعنى كالأجاج والإجاج والأجاج بمعنى الستر، كانت الكلمة المثلثة من المثلث المتفق المعاني وقُطرب حين عمل كتابه في المثلث قصره على النوع الأول، أي: المثلث المختلف المعنى كما ذكرنا آنفاً⁽¹⁾.

أما تعريف علم المثلثات فهو كما يراه قُطرب - أقدم المؤلفين في هذا الفن - : (اسم يُرى في الكتابة واحداً، ويُصرفُ على ثلاثة أوجه: فتح وكسر وضم..). وعرف بعض الباحثين علم المثلثات بأنه: "الألفاظ التي وردت على ثلاث حركات بمعاني مختلفة"⁽²⁾.

وعرفه ابن مالك محمد بن عبدالله "هو مجموعة من ثلاث مفردات مركبة من الحروف نفسها وهذه الحروف تتفق في ترتيبها وفي تعاقب الحركة والسكون عليها. والتثنيث يكون بتحريك حرف أو حرفين (بالفتح) في المفردة الأولى ونفس الحرف أو الحرفين يحرکان (بالكسر)، في المفردة الثانية وفي المفردة الثالثة بالضم"⁽³⁾.

أما المثلثات في القراءات القرآنية -وهي المقصودة في هذا البحث وليس الألفاظ المثلثة بشكل عام- فأشهر ما ألف فيه كتاب (تحفة الأقران فيما قرئ بالتثنيث من حروف القرآن)، لأبي جعفر أحمد بن يوسف الرعيني الأندلسي (ت 779هـ) وموضوعه: ما قرئ بالحركات الثلاث في القرآن الكريم، سواء أكان التثنيث بنية أم إعراباً⁽⁴⁾. فالمقصود من التثنيث في القراءات القرآنية: الآيات التي قرئت على ثلاثة أوجه في أي مستوى من قواعد اللغة فقط.

والمدقق فيه يرى أنه لم يستوف جميع ما قرئ بالتثنيث، بل ترك كثيراً من الكلمات التي قرئت بالتثنيث فلم يذكرها. إذ يقوم المؤلف بذكر الآية وقراءاتها، ثم يتحدث عن كل قراءة ذكراً من قرأ بها من القراء، ثم يبين وجه كل قراءة.

المبحث الأول

الهمز والتسهيل

الهمز في اللغة: "الغمز والضغظ والنخس والدفع والضرب والعض والكسر، يَهْمُزُ ويَهْمِزُ... وقوس همزي شديدة الدفع للسهم"⁽⁵⁾. ويقول ابن عطية: "وأصل الهمز في اللغة: الضرب طعنا باليد أو العصا أو نحوه ثم استعير للذي ينال بلسانه وسميت الهمزة لأن النطق بها حدة وعجلة فأشبهت الهمز باليد"⁽⁶⁾.

وإن المتتبع لكتب الأصوات قديماً وحديثاً يجد أن صوت (الهمزة) هو أكثر الأصوات حظي باهتمام العلماء ويعود هذا في تصورنا إلى عاملين حاسمين، أما أولهما فهو ارتباطها بالجانب اللهجي، حيث اعتبر الهمز أحد العلامات الفارقة بين لهجاتي العرب القدماء الرئيسيتين نعني بها لهجة تميم ولهجة الحجاز، كما أن اضطراب هذا الصوت وعدم ثباته على صورة واحدة، و

⁽¹⁾ الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. الغرر المثلثة والدر المبيثة، ت: سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط2، 2000م، ص4-6. وينظر: ابن مالك. إكمال الإعلام في مثلث الكلام. 1984. ص45.

⁽²⁾ ابن مالك. إكمال الإعلام في مثلث الكلام. 1984. ص45.

⁽³⁾ ابن مالك. إكمال الإعلام في مثلث الكلام. 1984. ص45. وينظر: والخطيب. مربع في مثلثات قطرب اللغوية (بحث)، مجلة مجمع اللغة العربية. دمشق، ج3، ص6.

⁽⁴⁾ ينظر: الرعيني. تحفة الأقران فيما قرئ بالتثنيث من حروف القرآن. 2010. ص3.

⁽⁵⁾ ابن منظور. لسان العرب، ج5، ص425.

⁽⁶⁾ ابن عطية. المحرر الوجيز، ج16، ص77، 1422هـ.

علاقاته المتينة بباقي الأصوات و خصوصاً منها أصوات اللين، قد ألزمت علماء العربية أن يخصصوه بشطر وافر من جهودهم، فتدارسوا ما يعتريه من ظواهر الإبدال والتسهيل و الحذف⁽¹⁾.

ولم يكن علماء القراءات أقل نصيباً من غيرهم في رصد ظاهرة الهمزة، فأفردوها في كتبهم بأبواب خاصة⁽²⁾. وألما فيها من مختلف أحوالها من تحقيق و حذف و تسهيل و إبدال عند القراء حيثما و قعت في قراءاتهم وإن كان منهجهم في تناولها مختلفاً عن ذلك الذي نجده عند النحاة من جهة أنه قد غلب عليه الاستقراء التام الساعي إلى تتبع أحوال الجزئيات أكثر منه إلى سن القوانين العامة⁽³⁾.

أما القراء لم يكونوا تبعاً للنحاة في أحكام الهمز، فخرجوا على ما سنّه هؤلاء من قواعد فقد، و نذكر مثلاً على مادة الخلاف، ومن ذلك ما نص عليه الداني من أن حمزة أحد القراء السبعة كان يتبع في تخفيف الهمزة رسم المصحف العثماني مخالفاً في ذلك عن قياس النحاة⁽⁴⁾.

ونذكر بعض النماذج القرآنية على ذلك واقتصرنا في هذا المبحث على نوعين من الهمزات الأولى: الهمزتان المجتمعتان في كلمة والثاني: الهمزتان المجتمعتان من كلمتين لأن الهدف الرئيسي لهذا البحث الوصف والتحليل للقراءات التي جاءت على ثلاثة أوجه فأكثر وإبراز أثرها على المعنى.

أ- الهمزتان المجتمعتان في كلمة:

1- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة 6)

حيث قرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر وابن ذكوان وهشام وروح وخلف والحسن وابن عباس والأعمش وابن أبي إسحاق بتحقيق الهمزتين (أنذرتهم) وهي لغة تميم وخلافاً للخليل وسيبويه، حيث زعم سيبويه أن الخليل كان يرى التخفيف في الثانية (أنذرتهم) فيجعل الثانية بين بين. وقرأ ابن عباس وابن أبي إسحاق بتحقيق الهمزتين وإدخال ألف بينهما. وقرأ أبو عمرو وقالون وإسماعيل بن جعفر عن نافع وهشام قوله تعالى (أنذرتهم) بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما. وقرأ الزهري، وابن محيصين: أَنْذَرْتَهُمْ بِهَمْزَةٍ وَاحِدَةٍ، حَذَفُ الهمزة الأولى لِدلالةِ المعنى عَلَيْهَا، وَلِأجلِ ثبوتِ ما عاد لها، وَهُوَ أُمٌّ، وَقَرَأَ أَبِي أَيْضًا بِحَذَفِ الهمزة وَنَقَلَ حَرَكَتَهَا إِلَى المِيمِ السَّاكِنَةِ قَبْلَهَا⁽⁵⁾.

"وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وأبو عمرو في رواية الأصبهاني وورش وهشام ورويس والأزرقي قوله تعالى (أنذرتهم) بتخفيف الهمزة الأولى وتسهيل الثانية أي بهمزة مطولة وكل ما شابهه في جميع القرآن، إلا أن مد أبي عمرو أطول من مد ابن كثير؛ لأنه يدخل ألفاً بين الهمزتين الأولى والثانية⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ ينظر: شاهين، عبدالصبور. 1980، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص 171.

⁽²⁾ ينظر: أنيس، إبراهيم. في اللهجات العربية، 1992، ص 67.

⁽³⁾ ينظر: ابن الجزري. النشر، 1998، ص 311.

⁽⁴⁾ الداني. التيسير في القراءات السبع، 1996، ص 41.

⁽⁵⁾ ينظر: أبو حيان. البحر المحيط، ج 1، 1420هـ، ص 79. الطبري. جامع البيان، ج 1، 2001م، ص 255.

⁽⁶⁾ ابن عطية. المحرر الوجيز، ج 1، ص 87. وينظر: الخطيب، عبداللطيف. معجم القراءات، ج 1، د.ت، ص 36.

2- قوله تعالى: ﴿أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾ (الملك 16).

قرأ الكوفيون وأبى عامر (أمنتم) بتحقيقهما، وقرأ عاصم وحزمة والكسائي وابن عامر: «أمنتم» بهزتين مخففتين دون مد، وقرأ أبو عمرو ونافع وقالون وهشام وأبو جعفر (أمنتم) بتسهيل الهمزة الثانية وإدخال ألف، وقرأ ابن كثير والبزي ورويس والأزرق وقنبل وورش بتسهيلها بلا الف، وقرأها بإبدالها ألفا خالصة مع القصر الأزرق وورش، أما ابن كثير وقنبل فقد قرأ بإبدال الهمزة الأولى واوا، ومد ما بعدها وصلا بما قبلها، (1).

والعلة الصوتية لتحقيق الهمزتين أو تخفيف إحداهما فيما تقدم من الأمثلة وما يماثلها: هو أن تحقيق الهمزتين هو الأصل في نظر علماء العربية وبه قرأ الكوفيون وابن عامر وابن ذكوان، وأثر لهجة تميم وأسد واضح في هذه القراءة. ووجه التحقيق أن الفصيح ورد باجتماعهما(2) ..) في مثل (أرأيت وأمنتم وأشقتم وأنتم).

أما قراءة تحقيق الأولى وتسهيل الثانية: وبها قرأ ابن كثير ونافع وهشام وأبو عمرو والبزي، وهي لغة الحجاز وهذيل وكنانة وسعد بن بكر(3). وذلك بسبب استئصالهم اجتماع الهمزتين؛ لأنهم قد يستقلون الهمزة المفردة فيخففونها وإذا تكررت كانت أعظم ثقلا وأحوج إلى التخفيف، ويضاف إلى ذلك أنهم كانوا يخففون الهمزة الساكنة المفردة نحو: (يؤمنون) فيقولون: (يومنون) استئصالا لها وهي ساكنة فإذا تحركت كانت أحوج إلى التخفيف لأن الحرف المحرك أقوى صوتيا- من الحرف الساكن، ثم إنه إذا التقت الهمزة المتحركة مع أخرى مثلها ازدادت الكلمة ثقلا فلماذا مال بعضهم إلى التخفيف(4).

أما قراءة تحقيق الأولى وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما، وبها قرأ أبو عمرو وقالون وإسماعيل بن جعفر عن نافع وهاشم وكل هؤلاء القراء يتصلون في قراءتهم بإمام المدينة في القراءة. والوجه في إدخال الألف أن الهمزة المسهلة كالمتركة في الحكم في رأي البصريين ولهذا زيدت الألف للفصل بين المتماثلين(5).

إذ يقول سيبويه: "فكرهوا النقاء الهمزة والذي هو بين بين فأدخلوا الألف بينهما كما أدخلتها بنو تميم في التحقيق"(6).

أما قراءة تحقيق الهمزتين وإدخال ألف بينهما وقد قرأ بها هشام، رواية عن ابن عباس وابن أبي إسحاق وما كان فرق بين هذه القراءة وسابقتها ليدرك بسهولة ولعلها واحدة(7).

وقد نسبها سيبويه إلى ناس من العرب وهم بنو تميم. فيقول سيبويه: "ومن العرب ناس تدخل بين ألف الاستفهام وبين

الهمزة ألفا إذا التقتا، وذلك أنهم كرهوا النقاء هذه الحروف المضاعفة". قال ذو الرمة:

فيا ظبيّة الوعساء بين جلالٍ ... وبين النقا أنت أم أم سالم(8).

(1) ينظر: البناء. اتحاف فضلا البشر في القراءات العشر، 206م، ص240. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج5، ص341.

(2) ينظر: أبو حيان. البحر المحيط، ج8، ص306. ابن مجاهد. السبعة في القراءات، 1400هـ، ص137.

(3) ينظر: أبو حيان. البحر المحيط، ج7، ص502، ج8، 302. والنحاس. إعراب القرآن، ج1، 1421، ص184.

(4) ينظر: ابن الجزري. غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، 2006، ص288. القيسي. الكشف، ج1، ص74.

(5) ينظر: أبو حيان. البحر المحيط، ج7، ص510. الصفاقسي. غيث النفع في القراءات السبع، 2004، ص17.

(6) سيبويه. الكتاب، ج3، دت، ص549. وابن يعيش. شرح المفصل، ج9، 2001م، ص119.

(7) ينظر: أبو حيان. البحر المحيط، ج7، ص511.

(8) ينظر: ابن جني. الخصائص، ج2، دت، ص458. سيبويه. الكتاب، ج3، ص155.

أما قراءة تحقيق الهمزة الأولى وإبدال الثانية ألفا، وروي ذلك عن ورش، حكاه البصريون عن أبي يعقوب الأزرق عن ورش. أما رواية البغداديين فهي تسهيل الثانية بين وبين وهو وجه التسهيل فيها لأنها متحركة وما قبلها مفتوح، أما إبدالها ألفا فهو طريق الهمزة الساكنة. ومنعه البصريون على طريق التخفيف القياسي -وهو ما أثبتته الزمخشري- وأجاز الكوفيون الجمع بين الساكنين على جهة التسامح على غير الحد الذي أجازته البصريون، فقد أثبت النقل القراءات التي تجمع بين الساكنين كإدغام أبي عمر (شهر رمضان) البقرة 185. (1)

ب- الهمزتان المجتمعتان من كلمتين:

1- الهمزتان المتفتحتان بالكسر، نحو قوله تعالى: "هؤلاء إن كنتم صادقين" {البقرة 31} "من النساء إلا" {النساء 22}.

فإذا اجتمعت الهمزتان أولاهما في آخر الكلمة والأخرى في أول الكلمة الثانية واتقيا بالكسر كما جاء في الآيتين السابقتين، فإن عاصم وحزمة والكسائي يحققانهما، أما قالون والبيزي يجعلان الأولى كالياء المكسورة ويحققان الثانية، أما قبل وورش يحققان الأولى ويجعلان الثانية كالياء الساكنة.. أما أبو عمرو فإنه يسقط إحدى الهمزتين ويحقق الأخرى. وهناك وجه ثالث لورش فيما نقل عنه أهل الأداء وهو أنه قرأ (هؤلاء إن كنتم صادقين) بإبدال الهمزة الثانية ياء خفيفة الكسر أي: مختلصة الكسر وهذا الوجه خاص بورش في هذا الموضع (2).

2- الهمزتان المتفتحتان بالفتح نحو قوله تعالى: "جاء أجهم" {النحل 61} و"شاء أنشره" {يس 78}.

فإذا اتفقت الهمزتان بالفتح فإن ورش وقبل يحققان الأولى ويجعلان الثانية كالمدة. وقالون والبيزي وأبو عمرو يسقطون الأولى ويحققون الثانية. أما بقية القراء يحققونها معا. فيقول ابن عطية في تفسيره: "قرأ بعض القراء (جاء أنشره) بتحقيق الهمزتين. وقرأ جمهور الناس: (جاء أنشره) بمد وتسهيل الهمزة الأولى. وقرأ شعيب بن أبي حمزة (جاء نشره) بإسقاط الثانية. وقرأ الأعمش: (جاء أنشره) بهمزة واحدة (3)".

3- الهمزتان المتفتحتان بالضم نحو قوله تعالى: "أولياء أولئك".

فإذا اتفقت الهمزتين بالضم فإن جمهور القراء يحققونها معا، أما ورش وقبل يحققان الأولى ويجعلان الثانية كالواو الساكنة. أما قالون والبيزي يجعلان الأولى كالواو المضمومة أي يجعلان أولى المضمومتين بين الهمزة والواو ويحققان الثانية. وأبو عمرو يسقط الأولى ويحقق الثانية (4).

والعلة الصوتية لتحقيق الهمزتين الواقعتين في كلمتين، أو في تخفيف إحداهما هي:

1- أن تحقيق الهمزتين من كلمتين جاءت عن قراء الكوفة وابن عامر؛ لأن الثانية منفصلة عن الأولى؛ فكل واحدة منهما كلمة برأسها ولم تلتقيا متلاصقين بل كانت كل واحدة منهما منفصلة عن الأخرى. ولذلك حققهما من حققهما. وتحقيق الهمزتين هو الأصل؛ لأن من خفف الثانية بين بين كانت بزنة المحققة فلاستتقال من هذا النوع من التخفيف باق في القياس.

(1) ينظر: الداني. التيسير، ص 193.

(2) ينظر: الطبري. جامع البيان، ج 1، ص 456. أبو الفرج. تريب المعاني في شرح حرز الأمان في القراءات السبع، 1413، ص 79.

(3) ابن عطية. المحرر الوجيز، ج 16، ص 232. السمين الحلبي. الدر المصون، ج 5، 1994، ص 308.

(4) ينظر: الطبري. جامع البيان، ج 22، 2001م، ص 141.

2- أما من مال إلى تخفيف إحداهما: فإنما اتبع ما عليه أكثر العرب؛ لأن بعض العرب خففوا همزة المفردة لثقلها وإذا اجتمعتا كانتا أشد استتقالاً للتكرير الذي فيهما لذلك سهلوا إحداهما طلباً للخفة وفراراً من ثقل اجتماعهما⁽¹⁾.

المبحث الثاني

الإمالة

الإمالة نوع من أنواع التأثير بين الأصوات المجاورة أو المتقاربة في السياق اللغوي وهي تتعلق بالصوائت الطويلة كالألف والياء والقصورة كالفتحة والكسرة⁽²⁾.

الإمالة لغة واصطلاحاً :

الإمالة في اللغة: من الميل وهو : "الاعوجاج والانحراف والعدول عن الشيء أو الإقبال عليه"⁽³⁾.

أما في الاصطلاح: لم تخرج آراء القدماء في الإمالة عن كونها تناسبا صوتيا تنحو فيه الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء⁽⁴⁾. أما المحدثون: لم يخرج رأيهم -أيضا- عن رأي القدماء من أن الإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء⁽⁵⁾.

والناظر في التعريفات السابقة يرى أن كلا منها تشير إلى الميل من شيء إلى شيء آخر تحقيقاً للانسجام في النطق. فالغاية الأساسية من الإمالة هي : "سهولة اللفظ وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع ولهذا أمال من أمال وأما من فتح فإنه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل"⁽⁶⁾. والإمالة هي لغة بني تميم وأسد وقيس وعامة أهل نجد، ويقابلها الفتح وهو لغة أهل الحجاز⁽⁷⁾. ومن الآيات التي قرئت بالإمالة:

1- قوله تعالى "حم، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم" (غافر: 1)

قرأ ابن كثير بفتح الحاء وروي عن أبي عمرو وعيسى وأبو السمال وابن أبي اسحق كسر الحاء على الإمالة، وروي عن نافع: الفتح وروي عنه الوسط بينهما وكذلك اختلف عن عاصم، وقرأ جمهور الناس (خاميم) بفتح الحاء وسكون الميم، وقرأ عيسى بن عمر -أيضا- (خاميم) بفتح الحاء وفتح الميم الأخيرة في النطق. ولذلك وجهان:

الأول: التحريك للالتقاء مع الياء الساكنة.

⁽¹⁾ ينظر: القيسي. الكشف، ج1، ص73. ابن مالك. شرح الكافية الشافية، ج3، دت، ص65.

⁽²⁾ ينظر: الراجحي، عبده. اللهجات العربية في القراءات القرآنية، 1998م، ص134.

⁽³⁾ ابن دريد. جمهرة اللغة، ج3، 1987م، ص175. وابن منظور. لسان العرب، مادة(م ي ل).

⁽⁴⁾ ينظر: الأنباري. أسرار العربية، 1999م، ص202 ابن الحزري. النشر في القراءات العشر، ج2، ص24.

⁽⁵⁾ ينظر: استيتية، سمير. القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، 2005م، ص42.

⁽⁶⁾ سيوييه، الكتاب، ج4، ص125.

⁽⁷⁾ ينظر: سيوييه. الكتاب، ج4، ص125. وابن يعيش. شرح المفصل، ج5، ص45.

الثاني: أن تكون حركة إعراب، وذلك نصب بفعل مقدر، تقديره: أقر (حاميم) وهذا على أن تجري مجرى الأسماء⁽¹⁾. والحجة منه، قول شريح بن أوفى العبسي:

يذكرني حاميم والرمح شاجر

وقول الكميت:

وجدنا لكم في آل حم آية

تأولها منا تقيٍّ ومعرب⁽²⁾.

والعلة الصوتية في هاتين الظاهرتين، هي أن الفتح لأصوات هذه الكلمات في مفتتح بعض السور القرآنية إنما حدث لأنهم آثروا الخروج من تصعد إلى تصعد، فالألف متصعدة إلى الحنك الأعلى إذا خرجت من موضعها في مثل الحركة المجانسة لها كحركة الراء في (الر) وحركة (حم)، والميل إلى الفتح في هذه الألفاظ اعتدال لها؛ نظراً لتصعد الألف⁽³⁾.

أما الإمالة فقد حدثت لأنهم يريدون أن يفرقوا بين ما هو اسم وما هو حرف فالحروف لا نصيب لها في الإمالة إذ لا تماثل الحروف في أي حال من الأحوال، وإذا أميلت هذه الحروف في مستهل السور القرآنية كان ذلك دليلاً واضحاً على أنها أسماء فأميلت كما تماثل الأسماء وللدلالة على أنها ليست حروف معان، نحو: (ما لا على في بل) بل إنها أسماء دالة على الحروف المقطعة المحكية⁽⁴⁾.

وهناك علة أخرى دامة لعله الفرق بين الأسماء والحروف في هذه الحروف المقطعة في أوائل السور وهي أن الألف الموجودة في هذه الأحرف الممالة مشبهة بالألف المنقلبة عن الباء ولذلك جاز فيها الإمالة كما جازت في الألف المنقلبة عن الباء. فإمالة الحاء في (حم) حدثت لأنها تشبه الهاء؛ وذلك لقرب المخرجين فالهاء تخرج من أقصى الحلق والحاء من وسطه. فقرب الحرفين في المخرج مع اتفاقهما في الخفاء هو الذي قوى إمالة الحاء وحسنها⁽⁵⁾.

2- وقوله تعالى: "كهيعص" (مريم: 1).

أمال أبو بكر والكسائي الهاء والياء وقرأ أبو عمرو بإمالة الهاء محضة، وأما الياء فالمشهور عنه فتحها، وقرأ ابن عامر وحمزة وخلف بفتح الهاء وإمالة الياء محضة، وقرأ يحيى بكسر الهاء وفتح الياء، والباقون بفتحهما⁽⁶⁾.

ويعلل مكي بن أبي طالب القراءات المذكورة بأنواعها فقال: "من أمالها جميعاً أثر الخروج من تسفل إلى تسفل؛ لخفة ذلك، كمن فتحها جميعاً، فأثر الخروج من تصعد إلى تصعد ليعتدل اللفظ ومن أمال "الياء" أقوى ممن أمال "الهاء"؛ لأن من

⁽¹⁾ الطبري. جامع البيان، ج23، ص349. وينظر: أبو حيان. البحر المحيط، ج9، ص232.

⁽²⁾ السيرافي. شرح أبيات سيبويه، ج2، ص1974م، ص301. المبرد. المقتضب، ج1، ص238.

⁽³⁾ ينظر: سيبويه. الكتاب، ج4، ص129. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج12، ص49.

⁽⁴⁾ ينظر: السخاوي. الغاية في شرح الهداية في علم الرواية، ج1، ص2001م، ص97. ابن عطية، ج12، ص50. القيسي. الكشف، ج1، ص188.

⁽⁵⁾ ينظر: ابن جني. سر صناعة الإعراب، ج1، ص2000م، ص47.

⁽⁶⁾ ينظر: الزمخشري. الكشاف، ج3، ص3. وأبو حيان. البحر المحيط، ج6، ص172. والسمين الحلبي. الدر المصون، ج6، ص1994،

أمال خرج من تصعد إلى تسفل وذلك حسن ومن أمال " الهاء " خرج من تسفل إلى تصعد، صعب قبيح⁽¹⁾. فلنحظ مما نتقدم أن إمالة بعض الحروف تحقق سهولة في النطق في حين أن إمالة بعض الحروف تشكل صعوبة في النطق وقبح ويلحظ من تحليل مكّي بيان لتأثير الانسجام الحركي في تخفيف الجهد العضلي للجهاز النطقي. والعلّة أن فتحة (الهاء) أميلت للتفريق بين (هاء) والتبنيه و (هاء) الهجاء، وبين حرف النداء والحرف الهجائي⁽²⁾.

المبحث الثالث

الإبدال الصوتي

الإبدال من الظواهر الصوتية الشائعة في اللغة العربية وهو في الحقيقة إبدال صوت مكان صوت طلبا للتخفيف والسهولة واليسر في ألفاظ معينة أثناء ممارسة العملية الكلامية ومن ثم دفع الثقل.

فالإبدال لغة: هو العوض والأصل في الإبدال هو التغيير، وإقامة الشيء مقام آخر، بأن ترفعه وتضع غيره مكانه مثل إبدالهم من الواو تاء فيقولون: تالله في والله⁽³⁾.

وعرفه ابن سيده: " حد البديل وضع الشيء مكان غيره⁽⁴⁾".

أما الإبدال اصطلاحاً: لا يبتعد المعنى الاصطلاحي للإبدال عن معناه اللغوي إذ هو جعل حرف مكان حرف غيره، سواء أكان الحرف المبدل والحرف المبدل منه صحيحين أم معتلين أم هو إحلال وحدة صوتية محل أخرى لعلاقة مخرجية بينهما⁽⁵⁾.

والناظر فيما سبق يرى أن هناك فرقا ضئيلاً بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للإبدال.

والغرض من الإبدال إرادة الخفة والمجانسة إما لضرورة وإما صنعة وإما استحساناً⁽⁶⁾.

فظاهرة الإبدال بصفة عامة لا تحدث إلا على أساس التقارب بين الأصوات المتبادلة وأن الغاية منها تحقيق نوع من الاقتصاد في عمليات النطق المتتابعة⁽⁷⁾.

وقد أطلق المحدثون على هذه الظاهرة (المماثلة) وعرفوها وحاولوا تحليلها صوتياً من خلال قوانين الأصوات⁽⁸⁾.

ومن مسائل الإبدال التي حدثت في القراءات القرآنية :

1- قوله تعالى: "اهدنا الصراط المستقيم." (الفاتحة: 6)

⁽¹⁾ القيسي. الكشف، ج6، ص187.

⁽²⁾ ينظر: ابن خالويه. الحجة في القراءات السبع، 1401هـ، ص234. وابن زنجلة. حجة القراءات، د.ت، ص436.

⁽³⁾ ابن منظور. لسان العرب، ج11، ص48.

⁽⁴⁾ ابن سيده. المخصص، ج4، د.ت، ص179.

⁽⁵⁾ ينظر: السيوطي. المزهري، ج1، 1998م، ص460. ينظر: ابن مالك. شرح الكافية الشافية، ج3، ص197.

⁽⁶⁾ ينظر: الشيرازي. الموضح في وجوه القراءات وعللها، 1993م، ص117.

⁽⁷⁾ ينظر: شاهين، عبدالصبور. المنهج الصوتي للبنية العربية، ص168.

⁽⁸⁾ ينظر: أنيس. الأصوات اللغوية، ص178.

حيث قرأ الجمهور ومنهم ابن كثير وأبو عمر وباقي السبعة ما عدا حمزة (الصراط) بالصاد، وقرأ قنبل ورويس وابن كثير وعبيد بن عقيل عن شبل وعن أبي عمرو (السرائط) بالسين، وقرأ أبو عمر (الزراط) بالزاي الخالصة، وقرأ حمزة بإشمام الصاد صوت الـزاي فـيـلـفـظ بـهـا بـالـسـين الـصـاد والـزاي⁽¹⁾.
فأما قراءة (السرائط) بالسين فإنها تعود إلى أصل الكلمة وقد وصفها ابن أبي مريم في الموضح بالثقل والنبوة عن الطبع معللاً ذلك بأن في السين تسفل وفي الطاء استعلاء وفي ذلك تصعد بعد تسفل وما احتملت تلك القراءة إلا لأنها الأصل⁽²⁾.
وذكرت بعض كتب التفسير ما يدل على أصالة السين بأنه لو كانت الصاد هي الأصل لم ترد إلى السين لضعفها؛ وليس من أصول كلام العرب أن يردوا الأقوى إلى الضعيف، وإنما من أصولهم في الحروف إذا أبدلوا أن يردوا الأضعف إلى الأقوى أبداً⁽³⁾.
أما قراءة (السرائط) بالصاد الخالصة، فهي المكتوبة في المصاحف وقد أبدلت فيها السين صاداً، وقد قيل: إنها لغة قريش الأولين التي جاء بها الكتاب⁽⁴⁾. وقيل: لمجيء الطاء بعدها⁽⁵⁾.
والتفسير الصوتي لذلك التبادل وهو: أن السين حرف مهموس فيه تسفل وبعدها حرف مطبق مجهور مستعل واللفظ بالمطبق المجهور بعد المستقل المهموس فيه تكلف وصعوبة فأبدل من السين صاداً لمؤاخاتها الطاء في الإطباق والتصعد ليكون عمل اللسان في الإطباق والتصعد عملاً واحداً⁽⁶⁾.
فالغرض الأساسي - إذن - لمثل هذا الإبدال هو طلب الخفة ليجري اللسان على وتيرة واحدة والتخلص من الثقل في النطق.

والناظر فيما سبق يرى أن الصاد تمتاز عن السين بصفة التقخيم وهي الإطباق ولولا هذه الصفة لما وجد فرق جوهري بين الصوتين؛ لأن صوت السين هو المقابل المنفتح لصوت الصاد. ويؤكد ذلك ما قاله سيبويه: "والسين كالصاد في الهمس والصغير والرخاوة وإنما يخرج الصوت إلى مثله في كل شيء إلا الإطباق"⁽⁷⁾.
ونخلص مما تقدم أن هذه الأوصاف الصوتية التي تجمع بين الصاد والسين - مع امتياز الصاد بصفة الإطباق والاستعلاء - هي التي سوغت إبدال السين صاداً في مثل (السرائط، يصدر، بمصيطر) عند من قرأ بذلك.
وأما قراءة (الزراط) بالزاي الخالصة فقد وصفها ابن أبي مريم بالضعف فقال: "والرواية بالزاي الخالصة ضعيفة فإن صحت فلتشابه الزاي والطاء في الجهر"⁽⁸⁾.

⁽¹⁾ ينظر: ابن عطية. المحرر الوجيز، ج1، ص74. وأبو حيان: البحر المحيط، ج1، ص45. أبو علي الفارسي. الحجة للقراء السبعة، ج1، 1993، ص49.

⁽²⁾ ينظر: ابن خالويه. إعراب القراءات السبع وعللها، ج2، 1992، ص49.

⁽³⁾ ينظر: الفارسي. الحجة في علل القراءات السبع، ج1، ص34.

⁽⁴⁾ ينظر: أبو حيان. البحر المحيط، ج1، ص144. النعماني. اللباب في علوم الكتاب، ج1، 1998، ص206.

⁽⁵⁾ ينظر: ابن الجزري. النشر في القراءات العشر، ج1، ص272. ينظر: ابن عطية. المحرر الوجيز، ج1، ص86.

⁽⁶⁾ ينظر: العكبري. التبيان في إعراب القرآن، ج1، د.ت، ص206. والقيسي. الكشف، ج1، ص35.

⁽⁷⁾ سيبويه. الكتاب، ج4، ص480.

⁽⁸⁾ الشيرازي. الموضح في وجوه علل القراءات، ج1، ص112.

وكما قال أبو حيان: "وزايا لغة رواها الأصمعي قال بعض اللغويين: ما حكاه الأصمعي في هذه القراءة خطأ منه أنما سمع أبا عمرو يقرؤها بالمضارعة فتوهمها زايا ولم يكن الأصمعي نحوياً فيؤمن على هذا"⁽¹⁾.

وعلى الرغم من إنكار بعض اللغويين لرواية الأصمعي هذه إلا أن لها نظيراً عند حمزة فقد حكى الكسائي: أن حمزة كان يقرأ (الزراط) في (الصراط) بجعلها زايا خالصة صافية من الإشمام كما نسب الفراء هذه القراءة إلى حمزة⁽²⁾. ونلاحظ من خلال ما قاله الكسائي وجود هذه القراءة ولا سبيل لإنكارها وأن الأصمعي لم يكن متوهماً كما زعم بعض اللغويين.

ويمكن تعليل هذه الظاهرة الصوتية أي: نطق السين زايا في بعض الألفاظ بأن صوت السين مهموس اكتسب صفة الجهر من الصوت الذي تلاه وهو الطاء في (السرائط) فتحول إلى نظيره المجهور وهو الزاي وهذا النوع من التوافق الصوتي أو المماثلة الصوتية الجزئية⁽³⁾.

وبهذا فإن السبب الأساسي وراء هذا الإبدال هو: طلب الانسجام والتناسب بين الأصوات. إضافة إلى ذلك أن القوانين الصوتية تسمح وقوع الإبدال بين صامتي الزاي والسين ذلك بالنظر إلى اتحادهما في المخرج واشتراكهما في جل الصفات فالزاي أخت السين إلا أنها مجهورة في حين السين مهموسة فلولا الجهر لكانت الزاي سينا ولولا الهمس لكانت السين زايا ولهذا لا بد أن تبدل الزاي سينا أو السين زايا في كثير من الكلمات العربية مما قد يكون له صلة بالتباين اللهجي.

أما قراءة الإشمام⁽⁴⁾ -وقد قرأ بها حمزة - وهي التي أطلق عليها ابن عطية مصطلح (المضارعة بين الصاد والزاي، فيقول: " أن تشرب الصاد شيئاً من صوت الزاي فتصير بين بين"⁽⁵⁾).

ويظهر ذلك جلياً حين تتحو بالصاد نحو الزاي فيتكون من ذلك حرف يتردد مخرجه بين مخرج الصاد ومخرج الزاي⁽⁶⁾.

وكيفية الإشمام هي: أن تخلط الصاد بصوت الزاي فيتولد منهما صوت آخر لا هو بصوت الصاد ولا هو بصوت الزاي إلا أن صوت الصاد غالب على صوت السين فتكون مثل نطق العامة للطاء؛ لأن الطاء فقدت صوتها الأصلي في معظم اللهجات المعاصرة وتحولت إلى الزاي المفخمة⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ أبو حيان. البحر المحيط، ج1، ص143. وينظر: ابن عطية. المحرر الوجيز، ج1، ص86. والفارسي. الحجة في علل القراءات السبع، ج1، ص37.

⁽²⁾ ينظر: الكسائي. معاني القرآن، 1998م، ص60.

⁽³⁾ ينظر: موسى، عبدالمعطي نمر. الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى، د.ت، ص116.

⁽⁴⁾ الإشمام في عرف القراء يطلق باعتباريات أربعة: 1- (خلط حرف بحرف كما في الصراط و أصدق ومصيطر و فاصدع). 2- (خلط حركة بحركة كما في "قيل" و "غيض" و"بابها). 3- (إخفاء الحركة، فيكون بين الإسكان و التحريك كما في قوله تعالى: "تأمننا على يوسف" (يوسف: 11) 4- (ضم الشفتين بعيد سكون الحرف، و هو الذي يأتي في باب الوقف بشكل عام - نحو: "تستعين" {الفاتحة4} بشرط ان تكون الكلمة مضمومة). ينظر: أبو شامة. إبراز المعاني من حرز الأمانى، ص67.

⁽⁵⁾ أبو حيان. البحر المحيط، ج1، ص144. وينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز. ج1، ص85. وابن يعيش. شرح المفصل، ج10، ص53.

⁽⁶⁾ ينظر: ابن يعيش. شرح المفصل، ج10، ص53.

⁽⁷⁾ ينظر: خاروف، محمد فهد. الميسر في القراءات الأربع عشرة، 2000م، ص2. القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد. الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، 1992م، ص51.

وهذه القراءة (الإشمام أو المضارعة بين الصاد والزاي) لها أصل في اللهجات العربية القديمة وقد نسبت إلى قيس وقبائل قيس كثيرة ومتعددة لذلك يغلب على الظن أن تكون هذه الظاهرة نمطا لهجيا للقبائل التي احتكت بالحضر من قيس؛ لأنها تمثل مرحلة وسطا بين لهجة الحضر الذين يعطون الأصوات حقها عند الأداء وبين لهجة البدو الذين يملون إلى التقريب بين الأصوات طلبا للانسجام الصوتي⁽¹⁾.

وهذه الظاهرة الصوتية (الإشمام) لها ما يسوغها من الناحية الصوتية؛ لأن الطاء مجهور مطبق -عند القدامى- والأصوات المجهورة غالبا ما تؤثر في الأصوات المهموسة فيجعلها عرضة للتبدل والتغيير⁽²⁾.

ويتضح للباحث -بعد عرض هذه القراءات- أن الصاد والسين والزاي من الحروف اللسانية التي تقاربت مخارجها مما جعلها مبدلة من بعضها بعضا وكثيرا ما يجري الإبدال بينها؛ وذلك لما بينها من علاقة صوتية وتقارب في الصفات وهذه الحروف تنضوي تحت أسرة واحدة ولو لم يكن بينها اختلاف لكانت حرفا واحدا⁽³⁾. وتجدر الإشارة بعد ذلك إلى أن ذلك التحول في صوت السين لم يحدث أي تغيير في المعنى أو اختلافه بل كان التحول في الصورة النطقية للصوت فقط.

وينوه الباحث إلى أحد تعليقات العلماء الصوتية لقراءتي: الزراط والإشمام، - وهو موافقة الطاء في جهرها، وجعله سببا لإبدال السين زايا أو الإشمام بين الصاد والزاي - أنه قد يقبل منهم قديما؛ لأننا لا نعلم كيف نطقهم للطاء قديما أما في علم اللغة الحديث فقد أصبحت الطاء مهموسة في نطقها ولا يعد سببا مقنعا لهاتين القراءتين، ولعل السبب الأقرب لمثل هذه القراءات هو التباين اللهجي من قبيلة لأخرى.

الخاتمة

قبل أن أنتهي من كتابة هذا البحث لا بد لي أن أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي:

1- ظهر للباحث بعد النظر في توجيه القراءات المثلثة في المستوى الصوتي أن الاختلاف الأدائي الصوتي في هذه القراءات القرآنية يعود في بادئ الأمر إلى اللهجات العربية، وهذا ما يؤكد محمد سالم محيسن بقوله: "وأصل هذا الاختلاف ما أنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم من الأحرف السبعة فكان يقرأ الصحابة بهذه الأحرف، فيذهب كل واحد منهم وقد قرأ على الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم يقرأه الآخر، فيروي كل منهم ما تلقاه ويضيف بعد ذكره لبعض القبائل التي جاءت لغاتها في الأحرف السبع". وفي رأيي كما أن سبب تعدد اللهجات العربية يعود في الأصل إلى تدخل القوانين الصوتية مما أدى إلى تعدد اللهجات بين القبائل العربية؛ كذلك تدخلت القوانين الصوتية في قراءات تلك القراء مما أدى ذلك إلى الاختلاف الأدائي الصوتي في تلك القراءات عند القراء إلا أن هذا الاختلاف الصوتي في تلك القراءات لم يؤد إلى تضاد في المعنى وإنما اختلاف تنوع وتغاير.

2- وجدت أن أغلب القراءات التي قرئت بثلاثة أوجه فأكثر هي قراءات صحيحة ومتواترة ولها وجه في العربية؛ لأن أغلب من قرأ بها هم من القراء الذين عرفوا بالدقة والأمانة والضبط في قراءاتهم.

⁽¹⁾ ينظر: النحاس. إعراب القرآن، ج1، 1421هـ، ص124.

⁽²⁾ ينظر: شاهين، عبدالصبور. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، 1987م، ص280.

⁽³⁾ ينظر: القيسي. الرعاية في تجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، 2011م، ص211.

- 3- تبين للباحث بعد النظر في المصادر التي تناولت القراءات المثلثة - الواردة في الأمثلة السابقة الذكر في متن البحث- أن العلماء قد أجمعوا على القول بأنها لغات, وأن اختلاف اللفظ في هذا القراءات لا يؤدي إلى تضاد في المعنى.
- 4- ومن خلال دراسة هذه القراءات وتوجيهها لم أجد أحدا من العلماء قد قال بردها أو بتلحينها أو بضعفها إلا ما ندر، بل إنهم ذهبوا يلتمسون لها وجها في العربية لكونها قراءة قرئ بها أحد القراء بصرف النظر عن نوعها من القراءات.
- 5- تبين من خلال الدراسة أن القراء أجمعوا على أن الاختلافات الصوتية في القراءات بالتثنية إنما هو اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضاد وتناقض فلا يؤدي إلى تغير المعنى وإنما إلى اتساعه, وبهذا يكون من مقاصد الاختلاف في القراءات القرآنية تكثير المعاني واتساعها، ولكن من غير تناقض أو تباين في المعاني

المصادر والمراجع

- أنيس، إبراهيم. الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975م، د.ط.
- أنيس، إبراهيم. في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة، ط8، 1992م.
- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين. أسرار العربية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1999م
- استيتيه، سمير شريف. القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، عالم الكتب الحديث، ط1، 2005م، ص62.
- البناء، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي، شهاب الدين الشهير بالبناء. اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ت: أنس مهرة، دار الكتب العلمية - لبنان، ط3، 2006م.
- بشر، كمال. علم اللغة العام: الأصوات العربية، مكتبة الشباب-المنيرة، 1990م. د.ط.
- ابن الجزري، شمس الدين أبي الخير، محمد بن محمد بن علي. غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية-بيروت، 2006م، د.ط.
- ابن الجزري، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن علي. النشر في القراءات العشر، تقديم: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1998م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني. الخصائص، ت: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4. د.ت.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني. سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1، 2000م.
- الجياني، محمد بن عبدالله بن مالك. الاعتماد في نظائر الظاء والضاد، ت: الدكتور حاتم الضامن - مؤسسة الرسالة - بيروت، ط3، 1985م.
- الجياني، محمد بن عبدالله بن مالك. إكمال الإعلام بمثلث الكلام، ت: سعد بن حمدان الغامدي، ط1، 1984م، مكتبة المدني، سوق الندي جدة- ط1، 1984م.
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي. البحر المحيط في التفسير، ت: صدقي محمد، دار الفكر - بيروت، ط1، 1420 هـ
- خاروف، محمد فهد. الميسر في القراءات الأربع عشرة، مراجعة: محمد كريم راجح، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، ط1، 2000م.
- ابن خالويه. إعراب القراءات السبع وعللها، ت: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط1، 1992م.
- ابن خالويه، الحسين بن أحمد بن خالويه. الحجة في القراءات السبع، ت: د عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، دار الشروق - بيروت، ط4، 1401هـ.
- الخطيب، عبداللطيف. معجم القراءات، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.
- الخطيب، عدنان عمر. مربع في مثلثات قطرب اللغوية(بحث)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد(81).
- الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني. التيسير في القراءات السبع، ت: اوتو تريزل، دار الكتاب العربي - بيروت، ط2، 1984م.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي. جمهرة اللغة، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط1، 1987م.

الراجحي، عبده. اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية-إسكندرية، 1998م، د.ط.
الرعي، أبو جعفر أحمد بن يوسف. تحفة الأقران فيما قرئ بالتثنية من حروف القرآن، ت: جمال الدين محمد شرف، الصحابة للدراسات القرآنية والعربية، ط1، 2010.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3، 1407 هـ.

ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة. حجة القراءات، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
الساوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد الساوي. الغاية في شرح الهداية في علم الرواية، ت: أبو عائش عبد المنعم إبراهيم، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط1، 2001م.
السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم-دمشق، 1994م. (د.ت)

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. الكتاب، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل-بيروت، ط1، د.ت.
ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل. المخصص، ت: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، 1996م.
السيرافي، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد. شرح أبيات سيبويه، ت: الدكتور محمد علي الريح هاشم راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر 1974م.
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. الإتيان في علوم القرآن، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م. د.ت.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، ت: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1998م.

أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي. إبراز المعاني من حزر الأمان، دار الكتب العلمية.

30- شاهين، عبدالصبور. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط1، 1987م.

31- شاهين، عبدالصبور. المنهج الصوتي للبنية، مؤسسة الرسالة-بيروت، (د.ط)،

الشيرازي، ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات وعللها، ت: عمر حمدان الكبسي، مكة المكرمة، ط1، 1993م.

الصفاقسي، علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي. غيث النفع في القراءات السبع، دار الكتب العلمية - بيروت، ت: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، ط1، 2004م.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 2001م.

العايد. سليمان بن إبراهيم. تحقيق: ثلاثة كتب في المثلاث، بحث 'مجلة جامعة أم القرى- مجلة فصلية للبحوث العلمية المحكمة.

- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1422 هـ.
- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله. التبيان في إعراب القرآن، ت: علي محمد الجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ط، د.ت.
- الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد. الحجة في علل القراءات السبع، ت: عبد الفتاح شلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983 م.
- الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي. الحجة للقراء السبعة، ت: بدر الدين قهوجي - بشير جويجاني راجعه ودققة: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، ط2، 1993م
- أبو الفرج، سيد لاشين وخالد محمد الحافظ. تقريب المعاني في شرح حرز الأمان في القراءات السبع، دار الزمان للنشر والتوزيع - المدينة المنورة، ط1، 1413 هـ.
- 42- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. الغرر المثلثة والدر المبتة، ت: سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط2، 2000م.
- ابن القاصح، أبو القاسم (أو أبو البقاء)، علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن. سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي (وهو شرح منظومة حرز الأمان ووجه التهاني للشاطبي)، راجعه شيخ المقارئ المصرية: علي الضباع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط3، 1954م.
- القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد. الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، مكتبة السوادي للتوزيع، ط4، 1992م.
- القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب. الرعاية في تجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ت: أحمد حسن فرحات، دار عمار، 2011م، د.ط.
- القيسي، مكي بن أبي طالب. الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، ت: محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع العلمي - دمشق، 1974م، د.ط.
- الكسائي. معاني القرآن، ت: عيسى شحاته، دار قباء للطباعة والنشر - القاهرة، 1998م.
- 46- ابن مالك. شرح الكافية الشافية، ت: عبد المنعم أحمد، دار المأمون للتراث - دمشق، د.ط، د.ت.
- المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس. المقتضب، ت: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب. - بيروت.
- ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي. كتاب السبعة في القراءات، ت: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ط2، 1400 هـ.
- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، ط3، 1999م.
- المهدوي، أبو العباس أحمد بن عمار. شرح الهداية، ت: حازم سعيد حيدر، دار الرشد - الرباط، ط1، 1995م.
- 51- موسى، عبدالمعطي نمر. الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى، دار الكندي للنشر والتوزيع - الأردن، د.ط، د.ت.
- النحاس، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس. إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421 هـ.

النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي. اللباب في علوم الكتاب، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط1، 1998م.

54-ابن يعيش، موفق الدين بن علي بن يعيش النحوي. شرح المفصل، قدّم له ووضح هوامشه وفهارسه: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 2001م.